صدى الحرية / العدد 65 / الجمعة 13 / حزيران / 2014

صدى الحرية

فريق QMT قدسيا الإعلامي

مخالفات...

ديالكتيك هيغل والثورة

نحن لا نزرع الموت

مخيم الزعتري

ما وراء الأصابع

أسىً لا ينسى

صدى الحرية

* أسبوعية * ثورية * اجتماعية * توعوية * منوعة *

مخالفات ...

قد تبدو فاتحة هذا العدد غريبةً بعض الشيء، فيما لو نظرنا للأمر وكأنه منفصلٌ تماماً عن الثورة، غير أن العكس هو الصحيح، فالثورة اليوم ترتبط وبشكل كلي بأدق تفاصيل حياتنا، الفكرية، العسكرية، والاقتصادية، وأهم من هذا وذاك الاجتماعية وحياتنا اليومية، فما تعانيه مدينتنا قدسيا، أزمة أخلاقية حقيقية، صحيحٌ أنها من مخلفات الماضي، لكنها باتت مصدر قلقٍ يتنامى لحظةً تلو الأخرى والكثير من هذه المظاهر السلبية لم يعد من المحتمل السكوت عنها. ويمكن تقسيمها إلى ممارسات يقوم بها بعض أفراد الجيش الحر، وأخرى من قبل المدنيين، والبداية ممن يدّعون انتمائهم للجيش الحر، ويفترض أن الثورة عبارةٌ عن زي عسكري، ولحية سوداء، ودراجة نارية يجوب فيها المدينة طولاً وعرضاً صباح مساء، همه إزعاج الناس، وبخاصةٍ في ساعاتٍ متأخرة من الليل والحجة السهر على أمن المدينة، ((والمخفي أعظم))، ولا بأس في طريقه من ((تلطيشه)) لصبيةٍ جميلةٍ، وإبراز نوع من القوة واستعراض العضلات. وفي نفس المحور، يعمد البعض لاستخدام سلاحه بصورة غاية في الجنون، مع بروز أي خصومة سواءً مع قريب أو غريب، وهذه الصورة تأكد بوضوح عدم مصداقية هؤلاء نحو الثورة، بل أن ما حملهم على حمل السلاح إنما هو أغراضٌ أخرى ولسنا بصدد الحديث عن النية من العمل، وللتذكير فإن النبي صلى الله عليه وسلم يقول: ((**من أشار إلى أخيه بحديدة فإن الملائكة تلعنه حتى يدعه وإن كان أخاه لأبيه وأمه**)). الموضوعان السابقان يتصلان بسلوكيات الثوار، التي هي عنوان ثورتنا، وتحتاج إلى مزيدٍ من التأمل والعلاج السريع إن لم يكن ممن يرتكبون مثل هذه التصرفات فمن المسؤولين عنهم، وإلا فهم شركاء في أي فوضى تحدث في المدينة والتاريخ لا ينسى. أما لو انتقلنا للمدنيين فحدث ولا حرج عن ظاهرة الإسراف في استخدام المياه لغسل السيارات، وترطيب الأرصفة، وحول المنازل، والكل يعلم مشكلة ندرة المياه، وقلة الفترات التي تصل فيها للمنازل، وما حادثة انقطاع المياه عن محافظة حلب ببعيد، ولكم عانى الناس من ندرة المياه في المخيمات وبعض المدن، وفي الحديث أن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– مرّ بسعد بن أبي وقاص وهو يتوضأ فقال (**ما هذا الإسراف؟**)، فقال: أفي الوضوء إسراف؟ قال (**نعم وإن كنت على نهرٍ جارٍ**). الثورة في جزءٍ كبير منها هي عبارة عن معركة وصراع فكري، يغفل عنه الناس وبخاصة الشباب، فبالرغم مما يحدث ويدور من حولنا لا يزال الكثيرون لا تعنيهم هذه الأحداث بل لا يكلفون أنفسهم عناء القراءة والاطلاع سواءً على شاشات التلفاز أو الصحف بل وحتى المواقع الإنترنت، وأقصى همومهم ((التسلية))، وهي ظاهرة منتشرة في المدينة فترى العديد من شبابنا يقفون خلف ((الفيشة))، رافعين أصواتهم، رامين مشاعرهم وراء ظهورهم، والحجة دائماً الملل في مثل هذه الظروف والبحث عن وسيلة للترفيه والنسيان، والسؤال: هل الحدث اليوم يستوجب النسيان؟

ولا يزال البعض يعتبر نفسه على الحياد، وكأنه ليس شريكاً فيما يحدث في مدينته، وإنما يرتفع صوته عند التنظير وإلقاء التهم على الثورة، ولا بأس من تهمٍ مشابهة على النظام... هذه المظاهر التي تعانيها المدينة اليوم، توحي بالفوضى وعدم الانضباط وهو ما يعتبره البعض من السلبيات التي أوصلتنا لها الثورة.... فهل هذا الادعاء صحيح؟ المظاهر السابقة تعني بشكلٍ أو بآخر أن المجتمع يعاني من مشكلاتٍ برزت أكثر في هذه المرحلة، في ظل غياب الإحساس بمعاناة الآخر، والشعور بمعنى الأخوة ووحدة المصير، لا يجب أن تغيب عن بالنا، ولعلنا نلاحظ حالة التكاتف التي يعيشها أذناب النظام في المناطق المجاورة، ومدى التفافهم حول هدفهم ونحن نعلم حقيقة أخلاقهم، ما يجعلنا في حيرةٍ من أمرنا إذا طرحنا السؤال التالي: هل نحن مجاهدون بالمعنى الحقيقي؟ وهل يعني التغيير فقط إسقاط رأس النظام، وأما ما اعتدنا عليه من سلبيات فهي ليست قابلة للتغيير والمناقشة؟

تحتاج الثورة اليوم ليس للمنظرين بل للعاملين المخلصين، الشركاء الحقيقيين في المدينة على الأقل، وإنهاء أي صورة سلبية في المجتمع، من خلال مبادرة جماعية تنهي السلوكيات الشاذة في المدينة وتضع حداً للمخالفات التي تضيع المدينة والثورة. في الختام: التعميم ليس أسلوبنا، وإنما أردنا التنبيه لبعض الظواهر بمدينتنا، وصولاً بها للأفضل، فالتغيير يجب أن يكون بكل اتجاه.

ديالكتيك هيغل والثورة السورية

يحيلنا منهج الجدل ''الهيغيلي'' في تحليل معطيات الفكر والفلسفة والظواهر الطبيعية إلى الثلاثية المشهورة: (الأطروحة – النفي – نفي النفي)، وهذا النفي الأخير هو ما يوصلنا إلى ما يُعرف أيضاً ''بالتجاوز''، أو ''التركيب''، والذي يعني أطروحةً جديدةً غير تلك الأولى، فنفيٌ جديدٌ للطرح الجديد، ثم نفي نفيٍ آخرٍ وهكذا، وبحركةٍ مستمرةٍ وعبر العلاقات المتصلة، بما يتيح تفسير تلك الظواهر والحالات المعروضة على العقل والفكر، وبما يؤدي إلى استنباط المبادئ والمثل والقيم العليا، والتي قد يكون ''الخير'' أعلاها على ما يذهب إليه الفيلسوف المثالي الألماني "إيمانويل كانط".

وكانت عظمة وبراعة مفكرٍ وفيلسوفٍ عالميٍ هو "كارل ماكس" تتجلى في تطبيق قواعد المنهج الجدلي على حركة التاريخ والمجتمع، أي على الواقع، واستخدامها في تحليل الظواهر السياسية والاقتصادية والاجتماعية، الأمر الذي أدى به إلى إبداع نظريته ''الشيوعية''، الشهيرة أيضاً.

والسؤال الآن هو: هل يمكننا تطبيق القواعد الجدلية التي اقترحها "هيغل" ـ بالاستناد إلى السابقة الماركسية من حيث إمكانية تحليل الواقع والتاريخ وحركة المجتمع بها ـ على الثورة السورية وحركة المجتمع السوري اليوم، بما يساعدنا على محاولة فهم ما الذي يحدث، واستقراء ما ستؤول إليه الأحداث، وعلى أي شكلٍ ستنتهي ؟

والحقيقة أنه سؤالٌ صعبٌ للغاية، وجوابه ربما يكون أصعب، بل إن طرح هكذا تساؤل في ظل ظروفنا الراهنة التي نعيشها داخل سوريا، قد يبدو من قبيل الترف الفكري، أو التباهي الثقافي الاستعراضي، بما قد يصل حد ''الفذلكة''، التي لا تسمح بها ظروف الزمان، ولا المكان، ولا الوقائع اليومية الدامية، ومع كل ذلك فالذي يبدو لنا أنه لا ضير إطلاقاً من إعمال النظر واستخدام الفكر ومناهجه لمحاولة تفسير وفهم وتحليل ما يحدث، واستقراء التطورات المختلفة، وأكثر من ذلك، ربما من الواجب على كل من يحمل شيئاً من الوعي والمعرفة والثقافة ـ وأنا لا أدع بأية حالٍ امتلاكي شيئاً من ذلك ـ، أن يستخدم ما يحوزه من أدواتٍ علميةٍ وعقليةٍ ومعرفيةٍ، ويسخرها بعد إعمالها وإنزالها في مواضعها الصحيحة، أقله، بما يساهم في إنجاح الثورة، ورفع الظلم، وإحقاق العدل، وإرساء القيم، تمهيداً لتأسيس مجتمعٍ جديدٍ، وأمةٍ جديدةٍ، ودولةٍ جديدةٍ.

وقبل الشروع في محاولتنا تلك، علينا أن نعترف بأن المجتمعات العربية والمجتمع السوري خصوصاً، قد بقيت لما يزيد على (50) سنة خارج مسار التاريخ، فقد نجحت الأنظمة الديكتاتورية العربية، ونظام البعث والأسد بتعطيل دورانه، عبر تحطيم المجتمعات، ومصادرة الفكر، وسحق الحريات، وإشاعة الإرهاب، وتعميم الفوضى واللاقانون، فأصبحنا نعيش في حالةٍ مركزها الخواء، والهامشية، واللاعقل، واللامنطق، وكانت أداة الديكتاتوريين الأساسية في تحقيق ذلك هو العنف والقوة بأشكالها، بمقارباتٍ همجيةٍ وبدائيةٍ لنظرية الواقعية السياسية ـ وإن أتت في نطاق السياسات الداخلية لا الدولية ـ بهدف التخليد في الحكم، وتوريثه للأبناء فيما بعد، مثبتين بذلك ـ ولو مؤقتاً بطبيعة الحال أيضاً ـ صحة مقولة المحافظين الجدد، ومفكرهم "فرانسيس فوكوياما" عن نهاية التاريخ، وهيمنة القوة على الأحداث والواقع وصياغة تشكيلاته، وحتى قبل أن يجهر "فوكوياما" بنظريته عن العلاقات الدولية تلك، وهذا ما يعني والحال كذلك أن تطبيق الجدل الهيغيلي ''الديالكتيك'' على أوضاعنا وحركة مجتمعاتنا وتاريخنا قد يبدو أمراً عصياً أو مستبعداً.

على أن ثورات الربيع العربي، والثورة السورية تحديداً قد أصابت مقولة "فوكوياما" في مقتلٍ، فالقوة لا تساوي شيئاً أمام إرادة الشعوب وتوقها الفطري إلى التحرر والانعتاق، والتاريخ وإن توقف لفتراتٍ عارضةٍ مؤقتةٍ، إلا أنه لم ولن ينته بحالٍ من الأحوال ما دامت الحياة مستمرةً، والإنسان موجوداً، وعليه والحال كذلك أيضاً، مازال بإمكاننا إعمال الفكر ونظرياته مجدداً ومنذ اللحظة التي استأنف فيها التاريخ والمجتمع حراكه وتفاعلاته الوليدة.

وبالعودة إلى منهج "هيغل" وتطبيقه على تفاعلات وحراك المجتمع والثورة السورية، ونحسب أنه بإمكـــــــــاننا تطبيق تلك

القواعد على ظواهر كثيرةٍ جداً، لكننا سنقتصر على بعضٍ منها فقط، مثلاً: أسلوب عمل وحراك الثورة العام، أولاً، وتشكيلات المعارضة السياسية والثورية، ثانياً، ولنطرح تساؤلاتٍ، هي:

في الظاهرة الأولى: يمكننا وبافتراض أن المرحلة السلمية كانت تشكل ''الأطروحة''، والمقاومة العسكرية المسلحة شكلت ''النفي''، فعلى ما تنفتح آفاق ''التركيب'' أو ''التجاوز'' الذي سنحصل عليه, فيما لو حاولنا نفي النفي ذاك، أي نفي منطق السلاح والنشاطات العسكرية وإنهاؤها مستقبلاً، هل يمكننا بناء مجتمعٍ ودولةٍ مدنيةٍ ديمقراطيةٍ على أنقاض الإقطاعيات العسكرية، وأشباح الإمارات الظلامية القائمة حالياً، وهل سنحتاج إلى ديكتاتوريةٍ وطنيةٍ مؤقتةٍ، لتحقيق ذلك، على ما يذهب إليه كاتبٌ ومناضلٌ لامعٌ ك"ياسين الحاج صالح"، لتثبيت وفرض ذلك ''التجاوز'' الإيجابي في واقعنا ؟

في الظاهرة الثانية: يمكننا أيضاً وبافتراض أن إنشاء التنسيقيات والهيئات الثورية كانت ''الأطروحة''، وإنشاء المجالس المحلية ـ الموحى بها خارجياً ـ كانت ''النفي''، فما الذي ستفضي إليه ''التركيبات'' و''التجاوزات'' التالية لنفي النفي، هل هي مؤسسات حكمٍ وإدارةٍ سياسيةٍ ومجتمعيةٍ فاعلةٍ، تكون نواةً للدولة السورية المرغوبة، أم سيحول تذري المجتمع، وتفتت البيئات المحلية، وانهيار الدولة كفكرة ومؤسسات دون ذلك ؟

وأيضاً إذا ما نظرنا إلى تشكيل المجلس الوطني ككيانٍ سياسيٍ معارضٍ كـ''أطروحة''، وإنشاء الائتلاف الوطني لاحقاً كـ''نفيٍ'' لتلك الأطروحة، فهل من الممكن أن يفضي الكيان المعارض الموعود الجديد الذي سمعنا عن قرب إطلاقه، والذي قد يمكن اعتباره ''تجاوزاً''، إلى الوصول إلى الجسم السياسي المطلوب لقيادة الثورة، وتحقيق أهدافها، وهل سينجز هذا الكيان لاحقاً عملية وضع الأسس النظرية، والدستورية، والمؤسساتية، للدولة والمجتمع السوريين الجديدين ؟

قد نمتلك جواباً أو بعض جوابٍ لهذه التساؤلات، لكن علة إبقائها مفتوحةً دون جوابٍ، هو محاولتنا تحريض جميع المعنيين على إعمال نظرهم وإيقاد فكرهم لاجتراح أجوبةٍ مناسبةٍ لها، ولغيرها من الظواهر والتطورات والأحداث التي تشهدها سوريا اليوم، مجتمعاً، وثورةً، ونظاماً، ومن ضمنها تفاعلات الأطراف المحلية، والإقليمية، والدولية، والتي قد يصح لدراستها، وتحليلها، ونقدها، واستشراف آفاقها، ومآلاتها، المنهج الجدلي ''الديالكتيكي''، أو قد لا يصح، ويكون غيره من المناهج العلمية أصلح، أو لعلنا نكون أمام واقعٍ تنطبق عليه شروط ''الديالكتيك السلبي''، مثلاً، وهي الحالة التي لا يتم فيها تجاوز لحظة (الإثبات – النفي)، إلى لحظة (نفي النفي)، وبالتالي يبقى الأفق مفتوحاً رهيناً للضبابية، وغير قابلٍ للتحديد الإيجابي على ما ذهب إليه الباحث "محمد عابد الجابري" في مقالته عن ''النقيض''، وأسباب تحقق ذلك متعددةٌ، قد لا تشكل ''سريالية'' التطورات والمشاهد، وجنون القتل، وعبث اللاعقل، السائدة اليوم، إلا أرضيتها الأولى.

أخيراً نقول بأن من واجب الجميع العمل لتسخير كل الطاقات والمعارف والعلوم في محاولة الوصول إلى الغايات والتطلعات النبيلة، وهذا ربما يلتقي مع دعوات كاتبٍ ومناضلٍ ك"ياسين الحاج صالح" المتكررة إلى إنتاج المعرفة والثقافة، وإذ نشدد على مركزية ولزوم المعرفة كشرطٍ أساسيٍ لتَعَرف ذواتنا، وقيامة مجتمعنا، وتأسيس دولتنا، إلا أننا نعطي أولويةً الآن وفي هذه المرحلة لفكرة إنتاج الحرب ـ بمعناها الإيجابي طبعاً ـ، والذي نقصد به مقاومة نظام الأسد، وأمراء الحرب، والتكفيريين، بالسلاح، وبالصمود، وبكل الوسائل المتاحة الأخرى.

فشرط بناء دولتنا، وإقامة مجتمعاتنا، مرهونٌ أولاً وقبل أي شيءٍ آخرٍ, بانتصارنا، وباستمرارنا على قيد الحياة.

نحن لا نزرع الموت

مرت سنواتٌ يحسبها المرجفون عجافاً وفي واقع الأمر تبدو كذلك فيما لو قرأنا الواقع بأم أعيننا، حين خرجت من المعتقل لم ألمس إلا تغييراً واحداً وباتجاهٍ واحد... تغييرٌ قابله البعض بسذاجة، وآخرون ممن عرفتهم فضلوا الانسحاب... يومها سمعت من يتحدث عن صناعة الموت...؟ الموت... ذاك الغائب الحاضر، الغائب عن عقولنا والحاضر في زمن الهرج، كلماتهم أثارت بداخلي مزيجاً من الألم والحنين، ألمٌ لواقعنا وما أصاب بعض رفاق الدرب، الذين ركنوا للدنيا وغرتهم الأماني... حنينٌ لأولى أيام الهتافات وكسر القيود، يومها خرجنا لنكسر ما كبلنا به أنفسنا من ذل العبودية... من رقٍّ صنميةٍ رضينا بها كما رضي بها أباؤنا من قبل، لا يلام من يخاف وينسحب، ففي المعتقل ألفُ سببٍ يجعلك تفكر بالعدول عن أفكارك، لكن بالمقابل هناك الكثيرون منا لديهم آلاف الأسباب للاستمرار في صياغة أفكارهم وتحويلها إلى أفعال... وقطعاً هناك سببٌ كامنٌ وراء تلك القوة وذاك الصبر الذي نقتاته في داخل تلك السراديب... بعض السراديب ليست سوى أفكارنا المشوشة، بعضها مجرد وهمٍ وخوفٍ من المجهول، وأي خوفٍ أمضى سيفاً على أفئدتنا من ((الموت))؟

لم يكن الموت شعاراً لأولئك الذين خطت أيديهم على الجدران عباراتٍ تطالب بالكرامة والحرية، بل كان شعارهم كسر الأصنام التي صنعناها بداخلنا... الحياة هي المطلب الذي دفعنا ثمنه من دمائنا... من أرزاقنا... من سنون حياتنا... !! ومجرد التساؤل عما وراء ذلك يأتي جوابٌ واحدٌ مرتبطٌ حتماً بالتغيير الذي تحدثت عنه في البداية... إنه الله تعالى... وهو ما يبرر صبرنا... وجهادنا... فلا مبرر اليوم لصنع أصنامٍ جديدة في مشوارنا الذي نصبو له، بعد أن حطمناها، فكيف بنا ونحن نحمل أحجارها لنعاود بناء سجنٍ آخر... وصنمٍ آخر... أو حتى خوفٍ آخر... سمه ما تشاء... ومن يلمح بين وجوه من سبقونا من الشهداء ضياءً وابتسامةً مرسومةً على سرير الموت يدرك حقيقةً هذه المعاني ويعرف أن الحياة وهبت لهم، فهم وحدهم من عرف الطريق... وبقينا كما غيرنا حيارى... نتنظر... نقدِّمُ حيناً... وننسحبُ حيناً آخر... بين إقدامٍ وهروب... ووحدها تلك الشعلةُ تتقد أكثر بداخل من ذاق صفوة معاني الحياة بعد الثورة، الثورة التي شاء الله تعالى أن تتحول إلى جهادٍ حقيقي، ليتحول معها التاريخ، ونكتب خريطةً جديدةً لعالمٍ جديد، حتى لو لم نكن نحن من سيشهد ذاك المستقبل، ولكن يكفينا أننا أول من رسم خطوطه ومعالمه ...

حين بدأت الكتابة تذكرت رواية يبدو أننا فهمنا منها عنوان كلماتي هذه، ووضعناها في إطارها الحقيقي، في الفعل، ولا بأس إذا قابلنا بين العبارتين – نحن لا نزرع الشوك – وبين فعلنا – نحن لا نزرع الموت – فالغايةُ واحدة، والهدف أملٌ لرفع الظلم عن وطنٍ معتقلٍ كاد يشهد الموت، ولتكون الحروفُ الأولى بمداد الدم الأحمر صناعةً للحياة ورفضاً للموت والظلم... فالمجاهدون لا يصنعون الأصنام... ولا يركنون للدنيا، ولا يزرعون الموت... بل يهبون الكرامة.

مخيم الزعتري

يلزمنا ألف شمسٍ تحمل دفئها للزعتريْ ...
يلزمنا جبال من النخوةِ لنصحوَ من نومنا الأزليْ ...
يلزمنا وفاء الكلاب لأهلها فنحن أحط قدراً حيث يموت الطفل برداً ...
وأثرياء العروبة ينشدون الدفء في أفخاذ أوربا ....
حين يضحي التشرد خبزاً إلى جانب قهوتنا ...
يصير الدم شاهداً علينا ...
يلزمنا بحارٌ من الياسمين لعل رائحتها تطغى على جيفتنا ...
يلزمنا رمل الصحارى لنمسح ذلنا ...
يلزمنا أن نأكل من مزابلٍ لا تتكلم الفصحى عندها ستصحو نخوة الخليجِ
ألا تباً للخليج وللعقالِ حين تلبسه الرؤوس الخاوية ....
فدمعة طفلةٍ سوريةٍ تختصر تاريخاً من المهانةً التي لن يغسلها نفطكمْ ...

يلزمنا الخبز ، الدفْء ، الأمن ، الكرامة للزعتريْ
يلزمنا ألف ألف ربيعٍ يطيح بالعالم العربيْ...

ما وراء الأصابع الداعشية على هامش تسليم الموصل وما حولها لداعش ومن معها

نبيل شبيب

قبل الخوض في الموضوع.. لنذكر بإيجاز شديد ثلاثة أمثلة فقط من التاريخ القريب تعلمنا أن «المؤامرة» ليست مجرد «خيال»:

١- في الجغرافية الدولية: سقوط الرئيس التشيلي المنتخب آليندي ضحية انقلاب عسكري، صنعته المخابرات الأمريكية، ولم تعترف واشنطن بذلك إلا بعد ثلاثين سنة تقريباً.

٢- في الجغرافية الإسلامية: الدعم الأمريكي لفصائل المجاهدين ضد الاحتلال السوفييتي لأفغانستان، ثم دعم طالبان للتخلص من المجاهدين بعد وصولهم للسلطة، ثم غزو أفغانستان للتخلص من طالبان.

٣- في الجغرافية المحلية: عند تحول السادات بمصر من التبعية السوفييتية إلى التبعية الأمريكية ليصنع ,,كامب ديفيد''، استمال الإسلاميين أولاً حتى تخلص من اليساريين، ثم بدأ بمواجهة الإسلاميين بعد ,,كامب ديفيد''. . . . لم يعد هذا ,,تحليلاً'' ولا ,,خيالاً''، ولكنه يستدعي عدم الاكتفاء الآن بظاهر الأحداث، لا سيما في سورية والعراق ومصر، وجميعه تحت عنوان الحرب ضد الإرهاب، والتلفيق ضد ,,العمل الإسلامي الحركي''، ولنذكر بهذا الصدد:

1- انقلاب في مصر يعيد ,,هيمنة كامب ديفيد'' بتنصل غربي وصنع دول إقليمية مرتبطة بالغرب.

2- ولادة داعش في محاضن رسمية سورية وعراقية، أي محاضن ,,الهيمنة الإيرانية'' إقليمياً..

3- تصعيد الحرب النظامية ضد مناطق السنة من أهل العراق، مما ألجأ بعض العشائر إلى المحظور بالتحالف جزئياً مع ,,داعش''..

4- الامتناع عن التحرك الفعال ضد ,,داعش'':

دولياً: حظر السلاح على الثوار في سورية، وغياب جهود ,,سد قنوات التمويل والتسليح'' عن داعش.. إقليمياً: تجنبت الغارات المالكية والبشارية لأي هدف داعشي..

5- استخدام داعش ذريعة.. في حظر السلاح عن الثورة بسورية، مقابل دعم نظام المالكي، وهو كبقايا

النظام في سورية مرتبط بإيران. . . . مدرسة الهيمنة تقول: التحرك غير المشروع ضد طرف تخشاه فعلاً، يتطلب صناعة عدو أو التضخيم من شأن خطر، فيكون ذريعة للبطش مع استهداف الطرف الحقيقي.

ويمكن على ضوء ما سبق القول: بدأ تصعيد ممارسة حصار دولي وإقليمي للثورة الشعبية في سورية وللتوجهات الإسلامية إقليمياً ولقضية فلسطين تخصيصاً.. ويواكب ذلك العدّ العكسي لتلفيق ما يسمونه ,,حلاً وسطياً'' يسري على سورية ولبنان.. والحصيلة:

1- تعزيز مشروع الهيمنة الإيرانية.. وتعزيز مشروع الهيمنة الإسرائيلي.. على السواء، وهذا ما يشمل المنطقة ما بين العراق وليبيا على الأقل.

2- تصعيد غليان ,,الصراع على مناطق النفوذ وتقاسمها'' بين المشروعين في منطقة الخليج وشبه الجزيرة العربية. ما المطلوب إذن؟.. من أراد أن يعمل مخلصاً للتحرر والنهوض فعلاً وجب عليه أن يعمل الآن، وفي وقت واحد: للمدى البعيد رؤية وأهدافاً وإعداداً.. وللمدى القريب بحسن توظيف الطاقات والإمكانات المتوافرة.. وهذا مستحيل.. دون رص الصفوف والعقول وخفقات القلوب وحياة الضمائر، ليس على مستوى هذه البقعة أو تلك، وهذا البلد أو ذاك، بل اختراق الحدود والسدود ما بين الاتجاهات المتعددة وما بين البلدان الممزقة.. على السواء.

أسى لا ينسى

آخرُ قذيفةٍ قد سقطت كانت بالمبنى المجاور لمنزلنا، صراخُ الأطفال وهولُ الموقف ربما أوقفَ عجلةَ الزمان في داخلي، نظرتُ تلقاء نفسي وأنا أُتمتم بصوتٍ خافتٍ فيه شيئ من الخوف ربما، ماذا بعد..؟!وأخذتني الأفكار بعيداً وعادت بي إلى الوراء. شريطُ الذكريات يمرُّ سريعاً في عيني كأني أشاهدُ فيلماً مسجلاً من قبل، كيف عشت في بلدي وكيف سأموت الآن، هل بالقصف الذي أرهقنا طوال النهار أم ذبحاً كما قد فعلوا بجارتنا أم أحمد وزوجها الطاعن بالسن، أبو أحمد هذا العجوز لم يكن من المسلحين الإرهابيين، فهذه ذريعتهم عندما يقدمون على فعلتهم العفنة، كل قطعةٍ في جسدي توقفت عن أداء وظيفتها آنذاك إلا عقلي فهو منهمكٌ بسرد حكايا قد أمضيتها في الماضي، فإذا بيدٍ صغيرةٍ تمتد على كتفي، لتقطع حالة الشرود اللامتناهية التي عشتها للحظات، نظرتُ خلفي لأرى أختي الصغيرة وعلامات الاصفرار باديةً على وجهها من الخوف وعيونها قد امتلأت دموعاً وهي تقول: (ليش بشار بدو يقتلنا). لم أكن أدري وقتها ما هو الجواب التي كانت تنتظره لأمحو بكلماتي دموعَ طفلةٍ لا ذنب لها بما يجري ، قلت لها لأنه مجنون، جائني الردُّ سريعاً منها (عمو ياسر يلي بالحارة التانية مجنون بس بيعطيني سكّرة)، أظنها قد علمت بأني لم أكن قادراً على الجواب في وقتها، وظلّت تحدّق بي حتى قمتُ بحملها إلى أن هدأت ونامت، الظلامُ الدامسُ كان المسيطر الأول في تلك الليلة، بين الفينة والأخرى نسمع بضع طلقاتٍ بعيدةٍ، انظر الى الساعة المعلقة على الجدار وصوت عقاربها مسموعٌ لي نوعا ما، انها الثانية بعد منتصف الليل، يُطرق باب المنزل بقوةٍ، أمي على الفور قالت لي: (أكيد الجيش صار عنا)، تمالكت نفسي قدر المستطاع ومضيت نحو الباب وأنا أفكر بعجالةٍ اذا كان الجيش ماذا سأقول لهم كيف سأتكلم معهم كيف سأعاملهم فهذه المرة الأولى التي سأقابلهم بهذه الظروف المصيرية، فتحت الباب قليلاً فإذا بجارنا حامد يقول لي: (شو زمرة دمك)، أصابتني الدهشة للحظات ولسان حالي يقول الحمد لله لم يكن الجيش، التقط أنفاسي وقلت له O-سلبي، فأخذ بيدي وقال(أبي متصاوب وبدي دم مشان الله)، خرجت معه الى المشفى الميداني الوحيد في البلدة ونحن نمشي على الركام الذي خلفه القصف، حتى وصلنا المشفى أتاني الطبيب وأخذ عينةً من دمي ليفحصها من أجل التطابق وبعدها سحب بقدر نصف كيلو غرام، الخبر المفرح الذي سمعته في المشفى أن ثمةَ هدنةٌ للقتال لإخراج المدنيين في صبيحة اليوم نفسه، سأخرج أخوتي ووالدتي والناس سيخرجون ليعاود الجيشان المعركة من جديد، أسأل الله الثبات لشبابنا الجيش الحر في البلدة هذا دعائي إلى أن خرجت من المشفى مسرعاً واخترت الطرق الفرعية تلافياً خطر القناص، دخلت منزلي وقصصتُ ما حصل معي لأهلي ومن كانوا عندنا من الجيران فارتسمت معالم الفرحة والاطمئنان بخبر الهدنة، وبفضل الله تم اخراجنا والمدنيين في صبيحة هذا اليوم، اللهم اجعلها للذكرى ولاتعاد لأن الأسى لا ينتسى، واللهَ أسأل أن يجعل هذا البلد آمناً مطمئناً سخاءً وسائر بلاد المسلمين.

صناعة الشيطان

بدأت طاهرةً كنقاءِ حبّة النَّدى وقد نامَتْ في مَهْدِ الياسمين، وحين شرع نسيمُ الفجرِ يداعبُ صفحةَ وَجْهِها ازداد قلقُ (صاحب الصَّولجان). دخل عليه وزيره المشؤوم بوجهٍ يَقْطُرُ خيبةً، ثمَّ قال بصوت مرتجف: سيِّدي إنَّ الشَّمس قد تخلَّلت صفحةَ خدّها فألقَتْ عليه وِشاحاً مِنْ لون الضُّحى، وإن الفِتْيَةَ قد تحلَّقوا مِنْ حولها يُنْشِدُون كلَّ أسفار الحُبّ. صرخَ سيِّدُهُ في وجهه: "أعيدوا صياغةَ الحكاية".

عثمان العسرة

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((**لا يُكلمُ أحدٌ في سبيل الله، والله أعلم بمن يُكلم في سبيله، إلا جاء يوم القيامة وجرحهُ يثعبُ دماً، اللونُ لونُ الدم والريحُ ريحُ المسك**)). رواه مسلم. هكذا أمضى شهيدنا مسيرة جهاده، يُصابُ فيعافى، ويعاودُ الكرةَ ليصاب أيضاً ويعافى وهكذا خمس مراتٍ، و السادسة كانت بوابة العبور إلى الجنة بإذن الله، هذا ما كان يتمناه ويدعو ربه بصدق سريرته ونقاء روحه بأن يُكثر جراحه ليكفّر بها عن ذنوبه ونال ما أراد، أبو البشير في العقد الثاني من العمر، حينما ترنو إلى عينيه وتُمعن النظر بهمـــــــــا ينتابك شعورٌ بالأملِ و التفاؤل بغدٍ ستبزغُ شمسُ حريته بعد ليلٍ طال سواده واشتد حالك ظلمته، وحينما تعلم أخي القارئ ما قدم في سبيل ربه ستتغير معالم وجهك ربما، ستصاب بالدهشةِ تارةً وبالفخر تارةً أخرى، يبدأ مشواره بصوته الذي كان يعلو في المظاهرات السلمية، وهو يحمل رايات وأعلام الثورة التي كانت من صنع يده النحيلة، نحيلةٌ هي بشكلها قويةٌ بأدائها. تتوالى المظاهرات ليأتي الشهر الأول من سنة 2012 ليواجه الأمن والشبيحة بحجارةٍ يمطرها عليهم وبصدرٍ عارٍ وصلابةٍ تفوق الرجال، يأتي موعدُ السلاح في البلدة، يهبُّ عثمانها ليمتطي صهوة الكفاح المسلح ويمضي قدماً نحو الفجر المنشود فيضرب العدو ضربات وضربات، في قدسيا يسهر الليالي على أطرافها يحمي أهله وإخوانه، ويشهد معركة الاقتحام فيها سنة 2012 ويقاتل فيها قتال الأبطال، وبعدها يختارُ من الجبال والحراج مسكنه ومأواه في قرى وادي بردى ذات التضاريس الصعبة مع قائد مجموعته الشهيد "الحمزة" ليشارك معه بأكثر من معركة سيما ومعركة تحرير حاجز الفاخوخ بأرض الضهر في قرية إفرة، ويصابُ بجرحٍ أقعدهُ فراشهُ وقتاً ليس بالكثير، يلئمُ الجرحُ فيما بعد لتراه جندياً في ساحات الوغى يبتغي إعلاء كلمة الله، يصوم النهار ويكثر من ذلك، قرآنٌ بيمناه وبندقيةٌ بيسراه، يرابط على خط النار الأول ليالٍ كثيرة، يتقدم النظام قليلاً وأبو البشير يتقدم أكثر مع رفاقٍ أضحوا إخوته مع مرور الزمن، لم يحيدوا عن نقاطهم كما فعلها من كانوا خلفهم، يشتبك عثمان لأيامٍ وأيام مع العدو والمعركة يشتدُّ وطيسها ويغلي نارها، يصابُ أيضاً ويستشهد الكثير من رفاقه الذين كانوا معه، بعد أيامٍ قليلةٍ عثمان يلفظُ أنفاسهُ الطاهرة الأخيرة بإحدى المشافي متأثراً بجراحه في شهر نيسان الماضي من هذا العام، وصفحةُ كفاحه قد فاضت خيراً وعملاً صالحاً وجهاداً يثلجُ القلوب، أبو البشير بضيافة الملك القدير أسأل الله أن يكرم ضيافتك ويلهمَ أهلك الصبر والسلوان، دمائك أمانةٌ في أعناقنا والثأر لك لن يطول، فلتخلد بالجنة روحك الطاهرة، وليخلد ذكراك على كل لسان، على نهجك ماضون وما كنت تطلبه ونلته إنّا له طالبون.

شهداؤنا في الذاكرة دوماً ..لن تنساكم حتى نلتقي بكم .